لم يجد شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب واخس الناس
همة واوضعهم نفسا من رضي من الحقائق بالاماني الكاذبة واستجلبها لنفسه
وتحلى بها وهي لعمر الله رؤوس اموال المفلسين ومتاجر البطالين وهي
قوت النفس الفارغة التي قد قنعت من الوصل بزورة الخيال ومن
الحقائق بكواذب الامال كما قال الشاعر

منى ان تكن حقا تكن احسن المنى ... والا فقد عشنا بها زمنا رغدا

وهو اضر شيء على الانسان ويتولد من العجز والكسل وتولد التفريط والحسرة
والندم والتمني لما فاته مباشرة الحقيقة بجسده حول صورتها في
نفسه في قلبه وعانقها وضمها اليه فقنع بوصال صورة وهمية خيالية
صورها فكره وذلك لا يجدي عليه شيئا وانما مثله مثل الجائع والظمآن يصور
في وهمه صورة الطعام والشراب وهو لا ياكل ولا يشرب والسكون الى ذلك
واستحلاؤه يدل على خساسة النفس ووضاعتها وانما شرف النفس وزكاتها
وطهارتها وعلوها بان ينفي عنها كل خطرة لا حقيقة لها ولا يرضى ان يخطرها
ببالها ويانف لنفسه منها ثم الخطرات بعد اقسام تدور على اربعة اصول
خطرات يستجلب منها منافع دنياه وخطرات يستدفع بها مضار دنياه وخطرات
يستجلب بها مصالح اخرته وخطرات يستدفع بها مضار اخرته فليحصر
خطراته وافكاره وهمومه في هذه الاقسام الاربعة فاذا انحصرت له فيها فما
امكن اجتماعه منها لم يتركه لغيره واذا تزاحمت عليه الخطرات لتزاحم
متعلقها قدم الاهم الذي يخشى فوته واخر الذي ليس باهم ولا يخاف فوته
بقي قسمان اخران احدهما مهم لا يفوت والثاني غير مهم ولكنه يفوت
ففي كل منهما ما يدعو الى تقديمه فهاهنا يقع التردد والحيرة فان قدم المهم
خشي فوات ما دونه وان قدم ما هو دونه فاته الاشتغال به عن الاهم
وكذلك يعرض له امران لا يمكن الجمع بينهما ولا يحصل احدهما الا بتفويت الاخر فهذا
موضع استعمال العقل والفقه والمعرفة ومن هاهنا ارتفع من ارتفع وانجح
من انجح وخاب من خاب فاكثر ما ترى من يعظم عقله ومعرفته يؤثر غير

المهم

المهم الذي يفوت ولا تجد احدا يسلم من ذلك ولكن من مستقل ومستكثر و
التحكيم في هذا الباب للقاعدة الكبرى التي يكون عليها مدار الشرع والقدر واليها
يرجع الخلق والامر وهي ايثار اكبر المصلحتين واعلاهما وان فاتت المصلحة التي
هي دونها والدخول في ادنى المفسدتين لدفع ما هو اكبر منها فيفوت مصلحة ليحصل
ما هو اعظم منها وتحمل الخطرات العاقل وفكره لا يتجاوز ذلك وبذلك جاءت الشرائع ومصالح
الدنيا والاخرة ولا تقوم الا على ذلك واعلى الفكر واجلها وانفعها ما كان لله والدار
الاخرة فما كان لله فهو انواع احدها الفكرة في اياته المنزلة وتعقلها وفهم مراده منها
ولذلك انزلها الله تعالى لا لمجرد تلاوتها بل التلاوة وسيلة قال بعض السلف انزل القران
ليعمل به فاتخذوا تلاوته عملا الثاني الفكرة في اياته المشهودة والاعتبار بها والاستدلال
بها على اسمائه وصفاته وحكمته واحسانه وبره وجوده وقد حض سبحانه عباده
على التفكر في اياته وتدبرها وتعقلها وذم الغافل عن ذلك الثالث الفكرة في الائه
واحسانه وانعامه على خلقه باصناف النعم وسعة رحمته ومغفرته وحلمه
وحلمه وهذه الانواع الثلاثة تستخرج من القلب معرفة الله ومحبته وخوفه و
رجاءه ودوام الفكرة في ذلك مع الذكر يصبغ القلب في المعرفة والمحبة صبغة
الرابع الفكرة في عيوب النفس وافاتها وفي عيوب العمل وهذه الفكرة عظيمة النفع
وهي باب لكل خير وتاثيرها في كسر النفس الامارة ومتى كسرت عاشت النفس المطمئنة
وانتعشت وصار الحكم لها فحيي القلب ودارت كلمته في مملكته وبث امراءه وجنوده
في مصالحه الخامس الفكرة في واجب الوقت ووظيفته وجمع الهم كله فالعارف ابن
وقته فان اضاعه ضاعت عليه مصالحه كلها فجميع المصالح انما تنشأ من الوقت ومتى ضاع
الوقت لم يستدركه ابدا قال الشافعي صحبت الصوفية فلم استفد منهم سوى حرفين
احدهما قولهم الوقت سيف فان قطعته والا قطعك وذكر الكلمة الاخرى فوقت
الانسان هو عمره في الحقيقة وهو مادة حياته الابدية في النعيم المقيم ومادة
معيشته الضنك في العذاب الاليم وهو يمر اسرع من مر السحاب فما كان من
وقته لله وبالله فهو حياته وعمره وغير ذلك ليس محسوبا من حياته وان عاش فيه عيش البهائم
فاذا قطع وقته في الغفلة والسهو والاماني الباطلة وكان خير ما قطعه به النوم و

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)